تيار الوعي في القرآن

(تطبيقًا على الفئة الضالة)

إعداد

د.ثناء محمود قاسم

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

كلية دار العلوم ، جامعة الفيوم

تيار الوعي في القرآن

(تطبيقاً على الفئة الضالة)

ثناء محمود قاسم .

قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن ، كلية دار العلوم ، جامعة الفيوم، الفيوم ، مصر .

البريد الإلكتروني Thanaa.kasem1986@yahoo.com

ملخص البحث :

إن القرآن الكريم ، بما يحتوي من قصص توافرت في بعضها عناصر القصة الأدبية– ومنها الشخصيات – وبما فيه من مواضع كثيرة جداً تتناول شخوصاً وفئات بشرية – في سياق الحكاية وليس القصص فحسب – مادة ثرية جداً لدراسة " تيار الوعي " فيه . ولقد اتخذت هذه الدراسة من الفئة الضالة شريحة للتطبيق عليها . ولهذه الفئة في القرآن مساحة واسعة أبرز فيها الأسلوب القرآني الوعاء الذهني لهم ، وكشف عما تنطوي عليه صدورهم ، ومن ثم جاء توظيف وسائل تيار الوعي في عرض هذه الحالات الخاصة . ويهدف البحث إلى بيان كيفية توظيف أسلوب تيار الوعي في القرآن الكريم ؛ مثل مناجاة النفس ، الارتداد الزمني ، المنولوج الداخلي ، الوصف . ولقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في تتبع ظواهر أسلوب تيار الوعي والوصول إلى نتائج محددة ، من خلال التطبيق على نماذج من القرآن . وأهم هذه النتائج ، أن الأسلوب القرآني قدم من خلال استخدام هذا الأسلوب المحتوى الذهني للفئات الضالة في التعامل مع الإسلام والمسلمين . وأن الفروق بين أساليب تيار الوعي دقيقة جداً ،

وتحتاج إلى نوع من التدقيق العميق ، وبخاصة إذا كنا نتعامل مع النص القرآني الكريم . وأن استخدام الأسلوب القرآني لوسائل تيار الوعي قد أبرز خطأً داخل وعي الشخصيات والفئة الضالة موازياً للواقع ، يعكس نفسيتهم وأفكارهم ومحتواهم الذهني ، سواء في إشكالية القبول والتسليم والرفض والتمرد في الدنيا . أو في الاصطدام بتكشف الحقيقة أمامهم في الآخرة ، حيث وجدوا كل ما شككوا فيه حقاً، لكن وقت وقوع الجزاء ، ومواجهة الحساب .

الكلمات المفتاحية : تيار الوعي ، مناجاة النفس ، المنولوج الداخلي ، الوصف.

Stream of Consciousness in the Glorious Qur'an

(Applied to the misguided categories)

Thanaa Mahmoud Kassem, the Department of Rhetoric,

Literary Criticism and Comparative Literature, Faculty of Dar Al Uloom, University of Al Fayoom, Al Fayoom, Egypt.

E-mail: thanaa.kassem1986@yahoo.com

Abstract:

The Glorious Qur'an is a very rich material to study "stream of consciousness" as it contains some stories that have the elements of the literary story – including characters- and it also contains a lot of positions where human characters – in the context of narration and not only stories- are examined. This study is applied to the misguided categories.The methods of stream of consciousness are also employed to uncover these special cases. The aim of this study is to demonstrate how the style of stream of consciousness is employed in the Glorious Qur'an such as soliloquy, time regression, inner monologue and description. The analytical descriptive approach is used in this study to track the phenomena of the style of stream of consciousness and to reach specific results. This can be achieved by applying this approach on models from the Glorious Qur'an. Among the most important conclusions of the study is that by using the stream of consciousness style, the Qur'anic style reveals the mentality of the misguided categories when they deal with Islam and Muslims. Another conclusion is that differences between the styles of stream of consciousness are very subtle and need certain deep examination, especially when dealing with the Qur'anic text. The

Qur'anic style use of the methods of stream of consciousness has highlighted a flaw within the awareness of the characters and the misguided categories which is in parallel with reality. This Qur'anic style reflects their psyche, ideas and mentality regarding the issues of acceptance, submission, rejection and rebellion in the present life. The Qur'anic style also reflects the shock of those who are in doubt when they know the truth in the Day of Judgment when everyone will be judged for their choices.

Keywords: Stream of consciousness , soliloquy , inner monologue , description .

مدخل :

يمكن القول بأن أكثر الاتجاهات الأدبية الحديثة في الإبداع الروائي اهتماماً بالإنسان " تيار الوعي " ، فهو أكثر ما يعنى بإبراز الشخصيات وتقديمها على سائر العناصر الفنية المكونة للعمل الروائي مثل ؛ الموضوع ، الحبكة، العقدة ، اللغة ، الزمان ، المكان ، الحوار . مع العلم بأن الشخصية في العمل القصصي وفق الاتجاهات الأدبية السابقة عليه – وقد مهدت لظهوره بالطبع –[١] يقوم عليها مدار المعاني الإنسانية ، وهى محور الأفكار والآراء العامة . ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه ، إذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي ، بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما ، فلا مناص من أن تحيا الأفكار في الأشخاص ، وتحيا بها الأشخاص ، وسط مجموعة من القيم الإنسانية يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلاً مع الوعي العام ، في مظهر من مظاهر التفاعل .[٢] بيد أن الاهتمام بالشخصية كان غير منفصل عن الواقع المحيط به ، من حيث التأثر به و التأثير فيه ، حتى يمكن أن يوصف المجتمع بشخصيات روائية اشتُهرت ، أو أن تنطبع على الشخصيات صورة

---

(١) يرى الدكتور محمود الربيعي أن تيار الوعي وإن كان في مظهره الناضج هو من إنتاج القرن العشرين ، فإنه مثل أى اتجاه أدبي آخر ، له جذوره التاريخية، وهو تتويج لجهود سابقة ولتطورات مستمرة في تاريخ نوعه المنتمي إليه . راجع: روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ترجمة محمود الربيعي ، دار غريب ، للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠م ، ص ١١.

(٢) انظر : محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر ، ص ٥٢٦ .

المجتمع التي تتشكل بتغيراته الزمانية والمكانية . فالاهتمام بالشخصية هنا لا يتعدى الاهتمام بقضايا ومواقف عامة . وأبرز ما يميز تيار الوعي عن الاتجاهات الأدبية الأخرى فيما يتعلق بالشخصية هو كيفية تقديمها سواء بواسطة الأديب أو بواسطة الشخصية نفسها . حيث الاهتمام بعرض الشكل الخارجي لها فيما يبدو من النواحي الجسمية والخلقية والسلوكية والنفسية والثقافية ، تطويعاً لأغراض فنية خاصة بالأحداث وبأهداف الكاتب في الرواية . ويجدر – في هذا الصدد– التنويه عما عُرف باتجاه " التحليل النفسي " في الرواية ، ذلك الذي يعنى بإبراز دخائل الشخصية الروائية ، والعناية بالكشف عن أعماقها ، والأبعاد النفسية التي توجهها ، فتهتم بتشريح الشخصية تشريحاً يحلل مفرداتها ، ويفسر سلوكياتها ، ويستجلي أثر ما يدور من أحداث في أعماقها . وأبرز من قدم هذا الاتجاه – متأثراً بالأدب الغربي – " نجيب محفوظ " وبخاصة في رواية " الطريق " [1]، حيث توصف بأنها (رواية شخصية). فقد ركز فيها نجيب محفوظ على شخصية البطل " صابر الرحيمي " ، فعنى بتقديم محتواه النفسي ، وكذلك تفسير سلوكه وانفعالاته وتحليلها ، واستجلاء ما يعتمل داخله من صراع وتمزق واضطراب . وهذا ما جعل الكاتب يعتمد على التكنيك الفني الحديث المتسق مع الاتجاه الأدبي الذي تنتمي إليه وهو (تيار الوعي). إن الرواية قد نسجت – من بدايتها وحتى نهايتها – في ضوء إشعال تدفق تيار الوعي ، فثمة التبادل لأدوار الشخصيات ، والارتداد الشديد إلى أزمنة انتهت ، واسترجاع كل انطباعات الحوارات تقريباً ، وأكاد أقول : إن قيمة الرواية كلها لاتكمن

(١) نجيب محفوظ ، رواية " الطريق "، دار مصر للطباعة ، كتبت عام ١٩٦٤م.

(٢) انظر : محمود الربيعي ، قراءة الرواية ، دار المعارف ، ص٥٩.

في تسلسل الحدث الخارجي ، وإنما في تلك الخلفية الذهنية والشعورية التي تجعل لهذا الحدث معنى مندمجاً في السياق العام للرواية . وهذه الخلفية غير منظورة ...وإنما منسابة من وعى البطل انسياباً صامتاً . ويمكن أن يقال إن رواية الطريق عمل فني مروري من داخل البطل[١] وقد بدأ هذا الاهتمام بالإنسان واستبطان شخصيته وعالمه الداخلي ، وما يدور في ذهنه ونفسه دون الإفصاح عنه ، في عصر الذرة ، والقلق ، والتحليل ، والغموض ، والتجارب ، والتفتيت ، عصر أصبحت فيه القصة لا تخضع لقواعد العقل والمنطق بل أصبحت صورة للحياة المفككة المفتتة . وهذا لا يؤكد المنحى النفسي لهذا الاتجاه حين يدخل مجال الأدب ، أو يعد دليلاً على التصنيف النفسي له . أما بالنسبة لما قد يوحي به مصطلح " تيار الوعي " من هذا الاتصال بعلم النفس ، فيكفي القول بأن هذا المصطلح وقع تحت طائلة الجدل والرفض ، إلا أنه تم قبوله على هذا النحو ، وفق رأى " روبرت همفري " الذي وجد أن هذا المصطلح حين يدخل حيز الأدب أو البلاغة يصبح مجازياً ؛ لأن كلمة " الوعي" كأختها " تيار " تتسم بقدر قليل من الدقة والاستقرار . وعليه فقد تقبل استخدامه لأنه قد استقر بالفعل باعتباره رمزاً أدبياً . ويشترط " همفري " في قبول هذا المصطلح استخدامه للدلالة على منهج ، في تقديم الجوانب الذهنية للشخصية في القصص على نحو محدد ، وهذا هو الشرط الذي يتمسك به .[٢] وعلى هذا تقوم دواعي الاختلاف بين " تيار الوعي " والاتجاه النفسي" في الاستخدام . حيث يدل "

---

(١)انظر : محمود الحسيني ، تيار الوعي في الرواية المصرية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ٢٥ .

(٢)انظر : تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ص ٢٢ .

الوعي" " على منطقة الانتباه الذهني التي تبتدئ من منطقة ما قبل الوعي ، وتمر بمستويات الذهن ، وتصمد حتى تصل إلى أعلى مستوى في الذهن فتشمله ، وهو مستوى التفكير الذهني والاتصال بالآخرين . وهذه المنطقة الأخيرة هى المنطقة التي تهتم بها كل القصص السيكولوجية تقريباً . وتختلف قصص " تيار الوعي " عن القصص السيكولوجي في أنها تهتم بالمستويات غير الكاملة أكثر مما تهتم بمستويات التعبير الذهني وهى تلك المستويات التي تقع على هامش الانتباه " [١]. وبالوقوف على شخصية " عمر الحمزاوي " في رواية " الشحاذ" [٢] لنجيب محفوظ [٣]– وهى تنتمي إلى الاتجاه النفسي – نجد أنها قد تخففت من استخدام " تيار الوعي " ؛ لأنه لا يتناسب مع الشخصية المريضة ، القاصرة عن التعبير عن نفسها ، غير المؤهلة لنقل مشاعرها ، وعواطفها وانفعالاتها بصدق وبدقة . وهذا النوع من القصص يلجأ فيه الكاتب – عوضاً عن تيار الوعي – إلى وصف

(١)المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣ .

(٢)نجيب محفوظ ، رواية " الشحاذ " ، دار مصر للطباعة ، صدرت عام ١٩٦٥م.

(٣)تأثر نجيب محفوظ في هذه الرواية بالنموذج الغربي في تشكيل ملامح شخصية البطل ، وانتمائها إلى الاتجاه النفسي الذي كان سائداً في الأدب الروسي ، ذلك الاتجاه الذي يتخطى الاهتمام بالتحليل النفسي للشخصيات ، والكشف عن أحد الأبعاد النفسية ، ليرصد حالة إنسانية في صورة من صور المرض النفسي ، تعاقبت عليها أحداث مؤثرة ، أو انقلابات غير متوقعة ، أدت إلى حالة من حالات فقدان التوازن ، ومن ثم رفض الواقع ، والتأرجح في منطقة ما بين الوعي واللاوعي ، والواقع واللاواقع . الشحاذ (النموذج الغربي) دراسة نقدية في ضوء علم النفس الحديث ، ثناء محمود قاسم ، بحث منشور بمجلة كلية دار العلوم _ جامعة الفيوم ، العدد العاشر ، ديسمبر ٢٠٠٣م ، ص٣٤١ .

الصورة الخارجية ، لأن الوعي الباطني لا وجود له في الأشخاص في بعض الحالات ، كحالات الجنون والسكر مثلاً ، فلا يمكن استبطان الشخصيات فيها . [١] ويرى الدكتور محمود الربيعي أن نجيب محفوظ ادخر تكنيك " تيار الوعي " – في هذه الرواية – للمواقف الحاسمة التي تشكل معالم على الطريق في تطور كل من الحدث والشخصية . وأن أخطر موقف في الرواية استخدم فيه هذا الأسلوب هو موقف التحول النفسي عند " عمر الحمزاوي " ، وهذا التحول يعمل على نحو متعدد الجوانب يتضح فيها جميعاً التضاد الكبير بين موقفه في الحاضر وموقفه في الماضي .[٢]وبعد ، فقد عنيت العديد من الدراسات بهذا التكنيك الحديث " تيار الوعي " ، لكنها جاءت جميعها تطبيقاً على أعمال روائية . [٣] فجال بفكري وتصوري أن هذا

---

(١)انظر : النقد الأدبي الحديث ، ص ٥٢٠ . وانظر كذلك : الشحاذ (النموذج الغربي)، ص ٣٦٤ .

(٢)انظر : قراءة الرواية ، ص ٩٦ . وتختلف " رواية (تيار الوعي) عن الرواية النفسية في أن الأخيرة تقوم على تسلسل الأحداث من خلال إسقاط لشخصية البطل في الخارج ، أو تفاعل مع شخصية البطل والخارج ، أو في كشف العقل الباطن واكتشاف القوى الخفية التي تسيطر على فكر الإنسان وشعوره ووجدانه وأفعاله وسلوكه ومعتقداته دون أن يعرف الإنسان بوجودها . فالرواية النفسية تهتم بتفسير نوازع الإنسان الداخلية ، لكنها مع ذلك لا تغفل الواقع . فقد كانت تنسج خيوط الحياة الباطنية على نول الحياة الخارجية . أما روية " تيار الوعي " فقد تجاهلت العالم الخارجي تماماً ، واعتبرت الحياة الباطنية للإنسان هى المسرح الأكبر المكتفى بذاته عن العالم الخارجي " . آلان روب جرييه ، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى ، تقديم لويس عوض ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٠ .

(٣)من هذه الدراسات : ١– عبد المطلب إبراهيم الشرقاوي ، تيار الوعي في روايات نجيب محفوظ ، ماجستير ، ١٩٩٥م ، كلية الآداب – جامعة الأسكندرية . ٢– فايزة ==

التكنيك الحديث بما يختص به مضمونه من الاهتمام بالعالم الداخلي للشخصيات ، والاهتمام بالوعاء الذهني الذي تتداعى فيه أفكارها ، والكشف عن دخائلها ، وما تنطوي عليه من جوانب لا تجد لها منفذاً ظاهرياً ، أنه من الممكن القول بتحصيل هذه الوسيلة في النص القرآني . فالقرآن الكريم

==

محمد سعد ، تيار الوعي في روايات الطيب صالح دراسة في الأدب المقارن ، دكتوراة ، ١٩٩٦م ، كلية الألسن – جامعة عين شمس . ٣- أحلام عبد اللطيف حادي ، تيار الوعي في القصة القصيرة السعودية ، ماجستير ، ١٩٩٧م ، جامعة الملك سعود ، الرياض . ٤- مصطفي مهدي فرج ، تيار الوعي في أدب نجيب محفوظ (دراسة تطبيقية) ، ماجستير ، ١٩٩٨م ، كلية الآداب – جامعة عين شمس . ٥- محمد إسماعيل اللباني ، رواية تيار الوعي (إدوار الخراط نموذجاً) ، ماجستير ، ١٩٩٩م ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة . ٦- أحمد أحمد عبد المقصود سيميوطيقا تيار الوعي في الرواية المعاصرة في مصر، ماجستير ، ٢٠٠٣م ، كلية الآداب – جامعة القاهرة . ٧- مديحة حمدي نديم ، تيار الوعي في روايات صنع الله إبراهيم ، دراسة تحليلية تطبيقية ، ماجستير ، ٢٠٠٤م ، كلية الآداب – جامعة الزقازيق . ٨- عدنان محمد على المحادين ، تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف ، دكتوراة ، ٢٠٠٦م ، جامعة مؤتة . ٩- المحسن بن هنية، تيار الوعي في رواية (على تخوم البرزخ) ، ماجستير، ٢٠٠٩م ، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر بمسكرة . ١٠- منيرة سليمان إبراهيم العبيكي، تيار الوعي في روايات رجاء العالم (١٩٨٧ – ٢٠٠٧م) ، ماجستير ، ٢٠١١م ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية جامعة القصيم . ١١- رشيد بو جدرة ، تيار الوعي في رواية التفكك ، ماجستير ، ٢٠١٢م ، جامعة الحاج لخضر – باتيه . ١٢- شعرية تيار الوعي في رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ ، حنان السيد محمد شكري ، بحث في مجلة كلية الآداب – جامعة الفيوم ، مجلد ١٣ ع ١ ، ٢٠٢١م .

(كلام الله) ، بما يحتوي من قصص توافرت في بعضها عناصر القصة الأدبية [١]– ومنها الشخصيات – وبما فيه من مواضع كثيرة جداً تتناول شخوصاً وفئات بشرية – في سياق الحكاية وليس القصص فحسب – وبما يمثله من بلاغة الأسلوب إلى حد لم يبلغه نص بشري ، مادة ثرية جداً لدراسة " تيار الوعي " فيه . ويمكن تقسيم هذه الدراسة على النحو الآتي :

أولاً : النص القرآني تطبيقاً :

هذا البحث يحاول – على استحياء و رهبة و رغبة – تغيير نمط الشريحة التي يتم التطبيق عليها ، والخروج على حصر تناول هذا التكنيك الفني الحديث في الأنماط الروائية ، أملاً في تقديم دراسة تكشف عن التعريف بهذا التكنيك بشكل أكثر وضوحاً ودقة وبخاصة عند التطبيق . وتبرز – كذلك – السياقات التي يتم فيها توظيف وسائل هذا التكنيك باستجلاء مدى اتساقها مع أنماط الشخصية ، ومردود هذا على المعنى والغرض . و قد يكون القول بوجود ما يسمى بـ " تيار الوعي " في النص القرآني الكريم مثيراً للعجب أو غير مقبول لدى البعض ، لأسباب يغلب على ظني أن يكون منها الآتي :

١– أن النص الروائي هو نص بشري صنعه أديب ، له حدود في عملية الإبداع ، في مقابل أن القرآن الكريم نص إلهي من كلام الله عز وعلا فلا قياس فيه لتلك الحدود .

(١) سورة يوسف مثالاً على ذلك .

٢- أن الشخصيات والأحداث في العمل الروائي غير حقيقية ، إنما هى من وحي خيال الكاتب ، أما هذه العناصر في النص القرآني فكلها حقيقية ، وتمثل واقعاً معاشاً بالفعل .

٣- في النص الروائي لا يوجد بين الكاتب والشخصيات علاقة خارج السياق الفني والأدبي ، و يصح ألا تكون إلا في حالة السير الذاتية . أما في النص القرآني فمن الطبيعي أن نجد فيه تلك العلاقة بين الخالق ومخلوقاته واضحة بتمام الهيمنة والقدرة المطلقة في تكوين الشخصيات وحركة الأحداث ، بل إن القرآن الكريم هو نفسه كتاب منزل من رب الناس إلى الناس كافة ، وهذا في ذاته يبلور هذه العلاقة .

٤- الربط الشائع بين مفهوم " تيار الوعي" ومستويات الخلط والعشوائية وعدم الترابط في وعي الشخصيات ، وذلك لارتباط هذا التكنيك بمستوى ما قبل الكلام – وتلك هى الصفة المميزة له – حيث إن هذا المستوى من الوعي لا يخضع للمراقبة ، والسيطرة ، والتنظيم على نحو منطقي . [١] وهذا يتنافى مع أسلوب القرآن في تقديم الشخصيات سواء في صورتها الخارجية أو في محتواها الداخلي .

هذه الملاحظات المحتملة سيكون الرد عليها أحد أهداف هذه الدراسة ، التي تحاول الكشف عن خصوصية النص القرآني في توظيف هذا التكنيك الحديث ، الذي يصرح رواده بأنه يشوبه الكثير من عدم الاستقرار في المصطلح ، والمفهوم ، وتحديد الوسائل المتصلة به . يضاف هذا إلى رؤية البعض بأن " تيار الوعي " في الأدب العربي ليس نسخاً لنظيره في

(١)انظر : تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ص ٢٤ .

الأدب الغربي ، بل يستمد الكثير من مزاياه ويطور نفسه بناء على الظروف الخاصة بالمجتمع العربي ثم باللغة العربية نفسها ". [١] وهذا رأي يدفع بفكرة التحرر من الثوابت في المفاهيم والمضامين ، ويؤكد على المرونة في استقطاب أى أدب لما يلائمه . وقد نجد من يرى أن" تجربة كل أديب تحمل خصوصية معينة " [٢] . ألم يكن النص القرآني أولى بهذه الخصوصية والتفرد والتحرر من غيره؟! لذلك يجدر هنا التأكيد على بعض النقاط :

- إذا كان تكنيك " تيار الوعي " هو " الانسياب المتواصل للأفكار داخل الذهن ".[٣] وإذا كان يهدف إلى الكشف عن الكيان النفسي للشخصيات ، ويهتم بعالمها الداخلي ، وما يعتريها من اضطرابات أو قلق أو بواطن غير معلن عنها ، فإن الله الخالق هو الأكثر دراية وعلماً ببواطن النفوس ، وخبايا الصدور " **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**" (الملك / ١٤) ، " **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** " [٤] . "**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** "[٥] . ويرى " روبرت همفري " أن مشكلة تصوير

(١) محمود غنايم ، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ٩٠ .

(٢) طه وادي ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط .٤ ، ١٩٩٤م ، ص٧٤.

(٣) لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، دار النهار للنشر ، لبنان ، ط.١ ، ٢٠٠٢م ، ٦٦ .

(٤) سورة ق : الآية ١٦ .

(٥) سورة الأنعام : الآية ٣ .

الشخصية مشكلة أساسية بالنسبة لقصص "تيار الوعي" والميزة الكبرى لهذا النوع من الرواية قدرتها الكامنة على تصوير الشخصية على نحو أكثر دقة وأكثر واقعية . وسمتا الواقعية و الدقة في التصوير لا شك أنهما بارزتان في الأسلوب القرآني .

- إن تصنيف بعض الروايات بأنها روايات تيار وعي ، يحكم ضمنياً بهيمنة هذا التكنيك على العمل بأكمله ، ولا يمنع هذا استخدامه وفق ما تستدعيه بعض السياقات استخداماً جزئياً . ويوجد في القرآن الكريم هذا الظهور الجزئي لهذا التكنيك ، وبخاصة عند كشف المحتوى الباطني لبعض الشخصيات – أو الفئات – الضالة التي أبرزها القرآن الكريم . وهى الشريحة المختارة للتطبيق في هذه الدراسة .

- إن القرآن الكريم لم يتناول شخوصاً مفردة فحسب ، لكنه حكى أيضاً عن فئات بشكل جمعي ، حين تربط الفئة الواحدة مجموعة من الصفات ، مثل بني إسرائيل ، المشركين ، المنافقين ، فرعون وجنوده ، الشياطين . كما دلت عليهم الآية الكريمة : " **فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** " [1] . ولهذه الشخوص والفئة الضالة في القرآن الكريم مساحة واسعة ، قدم فيها الأسلوب القرآني الوعاء الذهني لهم ، وكشف عما تنطوي عليه صدورهم ، ومن ثم جاء

(١) سورة الأعراف : الآية ٣٠ .

توظيف وسائل " تيار الوعي " في عرض هذه الحالات الخاصة ، والنفوس المختلة .

لقد كان في إرسال الرسل والأنبياء والمنذرين ، مردود على بناء الشخصية التي تعيش حالة من الخوف والقلق ، يدفع بكشف العالم الداخلي لها وما يدور فيه من أفكار وصراع مرتبط بما يدور خارجها ومنعكس عنه . ولقد وقع الاختيار على هذه الفئة : لثرائها من الجانب النفسي والعقلي وفق ما أظهره القرآن في موقفهم من الإسلام ؛ أسباب رفضهم ، وردود أفعالهم ، وخططهم ، و سياستهم في التعامل . قدمها القرآن الكريم بأساليب مناسبة للسياق ، فأظهر دخائلهم وكشف عن المحتوى الذهني والنفسي لهم أولاً . ولأنهم يرتبطون ببعض السياقات المتعلقة بالقضايا الذهنية ؛ مثل قضايا الوجود ، والخلق ، والبعث ، والتوحيد ، وموقفهم من الرسل والأنبياء ثانياً .

ثانياً : ملامح تيار الوعي :

إن القول بوجود ما يسمى " تيار الوعي " في النص القرآني ، يلزمه تحديد وتدقيق في بعض المعارف والمفاهيم والمعطيات الخاصة بهذا التكنيك الحديث ، وبخاصة فيما يتلاءم منها مع القرآن الكريم ؛ الذي يتفرد بطبيعة مغايرة تماماً للنصوص الأدبية في عناصر الإبداع المعروفة جميعها ؛ الأديب– النص – المتلقي . ويمكن الكشف عن ذلك من خلال تناول الشواهد عند محاولة استجلاء ملامح " تيار الوعي " في النص القرآني ، التي يمكن أن تكون على النحو الآتي:

١ – المحتوى الذهني :

أنزل الله جل شأنه القرآن الكريم ليبين للناس كافة أحكام الدين وتشريعه الذي ختم به الأديان ، ولأغراض أخرى كثيرة ؛ منها أخبار الرسل ، وأخبار الأمم الغابرة ، وحكايات عن أهل الكفر والإيمان ، وأهل الهدى والضلال ؛ إنذاراً وهداية وعظة وعبرة " **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** "(١) . ولقد قدم القرآن الكريم في الكثير من المواضع الوعاء الذهني للضالين ؛ لأن حججهم في التمسك بضلالاتهم كان منطلقها في الإعلان عنها عقلياً وذهنياً . فكشف عن العمليات الذهنية التي سبقت هذا الإنكار والرفض منهم لما جاء به الرسل والأنبياء . والتي كانت تسبق – أيضاً– تغيير موقفهم يوم الحساب بعد أن كشفت الحجب عن نتيجة أعمالهم ومعتقداتهم في الحياة الدنيا . وكانت تسبق – كذلك – كل المواقف التي عرضها القرآن الكريم بصدد ردود أفعالهم لما جاء به الرسل ، وأظهرت دخائلهم وما تخفي صدورهم ، وأبرزت كيفية إدارتهم معركتهم – في الضلال – مع أهل الهدى والإيمان . ويمكن الاستشهاد في ذلك بتأمل بعض الآيات الكريمة كما يأتي :

١– قوله تعالى : " **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا**

(١) سورة هود : الآية ١٢٠ .

مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ٩٦ " [١] . هنا استبطان لوعيهم وما يدور في خلدهم تجاه ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيكشف له الله – ولكل من يقرأ القرآن– عن رسوخ عنادهم في الرفض بحجج معجزة لا يستطيعها بشر ، وهى نفسها حجتهم الكبرى في الرفض ، كون الرسول بشراً ؛ لذلك أوحى الله إلى رسوله الرد على ما يدور في أذهانهم من محاولات التعجيز " **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا**"[٢] حتى بين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم اكتشاف أمرهم من لدن خبير بصير . وقد ورد هذا الاستبطان في الكثير من المواضع التي كشفت عن الوعاء الذهني لهؤلاء المشركين ، حتى يستعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالرد والمواجهة والمجابهة .

٢– قوله تعالى : " **لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ** .[٣]هنا كشفٌ لأسرارهم التي يتحدثون بها فيما بينهم ، لكن الله تعالى كشف لنبيه هذه الأسرار ، والسر خبيئة الصدر والنفس بفعل العقل ، وفي هذا كشف عن طريقتهم في تقليب الأمر في أذهانهم ، كيف يكون الرسول بشراً مثلنا ؟!

---

(١) سورة الإسراء : الآيات ٩٠ : ٩٦ .

(٢) سورة الإسراء : الآية٩٥ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية٣ .

٣- قوله تعالى : " **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا** (٤٦) **نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** (٤٧) " [١] .

تكشف هذه الآيات الكريمة الغطاء عما يتقلب في أذهان هؤلاء المشركين ، وتجلي سرائرهم وما تنطوي عليه نفوسهم ، ربما عن أشياء لم يدركوها هم أنفسهم . وذلك بالمرور في موقفهم بثلاث مراحل : الأولى ، أنهم كلما استمعوا إلى القرآن يؤكد على وحدانية الله ويدعوهم إلى الاعتقاد بها ولوا الأدبار وانصرفوا عنه مستنكرين رافضين . الثانية ، أنهم كانوا يسترقون السمع إلى القرآن وهو يتلى في بيت محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان سادة قريش وكبراؤهم يخرجون فرادى ليلاً خفيةً يستمعون إلى القرآن ، فيأخذهم الإعجاب الشديد به ، حتى أنهم يعاودون الكرة كل ليلة . الثالثة ، أنهم حين يعلنون موقفهم ، تراهم يرفضون القرآن متهمين الرسول بأنه رجل مسحور وما يتلو إلا سحراً . وما كان هذا التناقض البادي في موقفهم بين الإعجاب بالقرآن خفية وبين موقفهم المعلن الرافض إلا لأن الله تعالى- كما ورد في الآيات -جعل بين قلوبهم والتأثر بالقرآن حجاباً ، لم يمنع عنهم فهمه وإدراك أنه كلام معجز وليس من كلام البشر- حتى أنهم وصفوه بالسحر- لكن منع عنهم أن ترق قلوبهم له وأن يتأثروا به فيهتدوا وينزلوا على الإيمان به ، فذلك هو الصد الذي كتبه الله عليهم .

(١) سورة الإسراء : الآيات ٤٦ ،٤٧ .

٤- قوله تعالى : " **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا** "(١). نزلت هذه الآية الكريمة في الأنصار الذين سرق واحد منهم درعاً ، فلما حامت حوله الشبهات عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهودي ، وبات هو وأهله يدبرون من القول ما يبرئ صاحبهم ، ويورط اليهودي أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلبون أن يبرأه أمام الناس ويجادل عنهم . وتكشف الآية الكريمة عما يضمرون من تخطيط ومؤامرة ، وما يعدون من الأقوال في الخفاء مما لا يرضي الله المطلع على خباياهم وخفاياهم وهو محيط بما يضمرون .

٥- قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** (١١٩)"(٢). لقد تولى القرآن الكريم – وهو يتنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – الكشف عما يضمره أهل الكفر والنفاق للمسلمين من شر وحقد وفتنة وخطط ترمي إلى النيل من الدين الذي ظهر بمكة ، فقلب موازينهم ومعتقداتهم ومعيشتهم . و الروائي – حين يقدم المحتوى الذهني لشخصيات قصته الموضوعة والمختلقة – يمتلك دخائل شخصياته وبواطنها ؛ لأنه هو من صنع هذه الشخصيات

(١) سورة النساء : الآية ١٠٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآيات ١١٨ ،١١٩ .

بخياله ، و القرآن الكريم حين يحكي عن أهل الضلال يكون الكشف عن بواطنهم ؛ سواء في مستوى الوعي أو اللاوعي ، أمراً يسيراً وطبيعياً؛ لأن الله عز وعلا هو خالقهم ، وهو القادر على الكشف عما في صدورهم وعقولهم . لذلك خُتمت الآيتان الكريمتان السابقتان بالإخبار بأن الله قد بين لهم ذلك وكشفه لهم ، وأنه – سبحانه – عليم بذات الصدور . إن ما في بواطن هؤلاء المشركين والمنافقين ما كان ليظهر للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين لولا ورود هذا في الكتاب الإلهي العظيم . فقد جاء في الآيتين تنبيه وتحذير للمؤمنين لأخذ الحيطة من تقريب هؤلاء المشركين والمنافقين والتعامل معهم بحسن الظن ؛ لأنهم لن يبادلوهم وداً بود ، بل إنهم يريدون فتنتهم وزعزعت إيمانهم وإفسادهم وإصابتهم بالمشقة في مغالبة النفس بين إيمانهم وعقيدتهم وبين ما يحاولونه هؤلاء من دس السم في العسل . وتكشف الآيتان – كذلك– عن جانب آخر من أمرهم ، وهو أن هؤلاء يظهرون أمامهم الإيمان والتصديق والرضا بمعتقداتهم ، في حين أنهم إذا انفردوا بأنفسهم لا يتكلمون عنهم إلا بما فيه البغضاء لهم و الحقد عليهم بما يحملون من إيمان وسلامة نفسية . وكذلك في قوله تعالى : " **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ".[1] تخبر الآية الكريمة الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم إن تمكنوا من المؤمنين لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة ولا عهداً . وفي هذا إخبار من الله – جل شأنه – بما في نفوس هؤلاء من حقد على المؤمنين .

(١) سورة التوبة : الآية ٨ .

وكذلك في قوله تعالى : " **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** "(١).

وكذلك في قوله : " **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** "(٢). وكذلك في قوله تعالى : " **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " (٣) .

٦- قوله تعالى : " **وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** "(٤).

هناك الكثير من الآيات القرآنية التي تكشف عن خبايا عقول الفئة الضالة ، وعن موقفهم المتناقض فيما يعلنونه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما يضمرونه دون ذلك . وهذا يدل على أهمية تقديم الوعاء الذهني لهؤلاء ، وكشف خططهم حفاظاً على الإسلام . فهم يعلنون الطاعة والإذعان عند محمد وأصحابه ، فإذا ما خرجوا تُبدي سرائرهم الخروج على

(١) سورة البقرة : الآية١٠٥ .
(٢) سورة النساء : الآية٨٩ .
(٣) سورة البقرة : الآية١٠٩ .
(٤) سورة النساء : الآية٨١ .

هذه الطاعة . والله يعلم ما يسرون ويبيتون ، فاحذرهم يا محمد والله يكفيكهم .

٧- في قوله تعالى : " **وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** " .(١) هؤلاء المنافقون فئة مندسة في كل الفئات والأقوام ، وهنا يشاركون المسلمين في معاركهم إظهاراً للمناصرة والتأييد والإذعان ، لكن هناك رغبة خفية داخلهم في شق الصف وإفساد النفوس والعقائد بمخالفة الأوامر والطاعات ، فهم يوعزون لأهل يثرب بترك الرسول صلى الله عليه وسلم والمعركة بحجة لا يستطيعون ردها ، ولا يرضى الرسول صلى الله عليه وسلم رفضها ، وهى أنهم تركوا خلفهم بيوتاً وحرمات دون راعٍ أو حامٍ . فكشفت الآية سريرتهم ، وفضحت أمرهم .

هذه الأمثلة نماذج للمحتوى الذهني – لا النفسي – للفئة الضالة ، وهى وسيلة مهمة أدت دوراً كبيراً ومؤثراً في كشف أمرهم ؛ ليتخذ الرسول ومن معه حذرهم وحيطتهم ، حفاظاً على الإسلام وسلامة العقيدة وتثبيت المؤمنين .

٢- الارتداد الزمني : استرجاع / استباق

الزمن في رواية " تيار الوعي" لا يمر في خط مستقيم وتسلسل منطقي . فهو يتحكم في الأبعاد الزمانية بطريقة العرض البطيء ، أو العرض السريع بطريقة التتابع والجريان بدلاً من العرض المنطقي المنظم حسبما أسماه "

(١) سورة الأحزاب : الآية ١٣ .

هنري برجسون" بالسيولة أو الوقت السيكولوجي ، مما مكن القصاص من التحرك بقصصهم زمانياً إلى الأمام وإلى الخلف ، وكذلك خلط الماضي بالحاضر وما يتخلله في المستقبل فيما يسمى في الفن بالمونتاج .(١) والجمع بين الأزمنة الثلاثة في آن واحد و التداخل فيما بينهم من أبرز سمات تيار الوعي .

ونجد في القرآن الكريم – مع حفظ التفرد وخصوصية السياق – هذا اللون من استدعاء المستقبل، أو الرجوع إلى الماضي في اللحظة الحاضرة ؛ ذلك لأن القرآن الكريم عرض تصويراً دقيقاً لوقائع يوم القيامة ، أو يوم الحساب ، أو اليوم الآخر ، في سياقات الكشف عن مصائر الناس ، وكيفية الحساب والجزاء ، ليبين لهم نتائج أعمالهم ، ترغيباً وترهيباً . كما في الآية الكريمة : " أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (٢). و فيما يأتي بعض الشواهد على تداخل الأزمنة في سياق واحد :

١- قوله تعالى: " **بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ** (١٢) **وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ** (١٣) **وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ** (١٤) **وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** (١٥) **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ** (١٦) **أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ** (١٧) **قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ** (١٨) **فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ** (١٩)

---

(١) انظر : تيار الوعي في الرواية المصرية ، ص٢٦ ،٢٨ . وانظر كذلك : منبيرة سليمان إبراهيم العبيكي ، تيار الوعي في روايات رجاء العالم (١٩٨٧ – ٢٠٠٧م)، ماجستير ، ٢٠١١م ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية جامعة القصيم . ص١٢ .

(٢) سورة النور : الآية ٦٤ .

وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ(٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ(٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ(٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٣٩)" [١]

الآية	الزمن	الحالة
١٢– ١٨	الحاضر	الحالة التي عليها المشركون في الدنيا : يسخرون ويستسخرون ، لا يسمعون ولا يطيعون ، وينكرون البعث لهم ولآبائهم الأولين
١٩– ٢٧	المستقبل	يتحول الزمن وقتها إلى مشهد يوم الحساب الذي يأتي بصيحة واحدة ، فإذا بالجميع حاضرون ، ينظرون صدق ما كذبوه في الدنيا ، ثم يحمل كل واحد منهم الآخر مسؤولية هذا المصير

(١) سورة الصافات : الآيات ١٢ : ٣٩ .

٢٨- ٣٢	الماضي	عودة إلى الماضي سريعاً للرد على مسألة تحديد المسؤولية، وبيان حقيقة الأمر، فانكشف أمرهم بأنهم مسؤولون عن هذا الشرك والاستسلام للغواية
٣٣- ٣٤	المستقبل	انتقال المشهد إلى يوم الحساب لبيان استحقاقهم العذاب
٣٥- ٣٦	الماضي	ثم عودة إلى الدنيا مرة أخرى لبيان مسوغات العذاب وهو أنهم استكبروا على النداء ، ورفضوا الامتثال للرسول ونعتوه بالمجنون
٣٧- ٣٩	المستقبل	هذا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا

٢- قوله تعالى : " الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١) وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٥٣) " [١]

الآية	الزمن	الحالة
٥١- ٥٢	ماضي/حاضر	السياق هنا يجعل من يوم الحساب هو الحاضر ، فتبدأ الآية الكريمة بالرجوع إلى ماكانوا عليه في الدنيا لبيان أسباب عدم أخذهم بالرحمة في هذا اليوم ، لنعرف أنهم قضوا حياتهم في اللهو واللعب

(١) سورة الأعراف : الآيات ٥١ :٥٣ .

		وأخذتهم الدنيا ونسوا الله والآخرة ، ولم يتأملوا آيات وجود الله من حولهم ، وكتاب فيه بيان كل شيء
٥٣	حاضر/ماضي/حاضر	ثم عودة إلى يوم الحساب ليعرفوا ما جنوه بأنفسهم، وليدركوا وقتها وضوح دعوة الرسل وصدقها ، ثم يستجدون شفعاء ، ثم يأملون في العودة إلى الماضي ليقدموا غير ما قدموه لكن هذا اليوم سيخبرهم بضلالهم وخسرانهم أنفسهم

٣- قوله تعالى : " **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٥٤)** " [١] .

الآية	الزمن	الحالة
٤٨	الحاضر	حالهم في الدنيا وقت التكذيب بالبعث
٤٩- ٥٤	المستقبل	انتقال المشهد بهم إلى يوم القيامة في خطفة زمنية لبيان سرعة مجيء يوم القيامة ، فتتداخل المرحلتان ؛ الحاضرة والمستقبلة . تأخذهم بغتة حتى أنها لم تمهلهم إلى عمل وصية ، تعبيراً عن أن هذا اليوم يداهم الإنسان في أية لحظة ، والمقصود هنا الموت ؛ لأن قيامة الإنسان تقوم بموته .

(١) سورة يس : الآيات ٤٨ : ٥٤ .

٤- قوله تعالى : "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ(٤٦) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) "(١).

الآية	الزمن	الحالة
٤٥	المستقبل	الحديث عن يوم الحشر ، حيث يتعارف الضالون بعضهم على بعض ويجمعون في حزمة واحدة موسومة . وهم يؤمئذ خاسرون بعدم التصديق بلقاء الله ، فهم لم يعملوا لهذا اليوم
٤٦	الحاضر	فيه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه إما سيرى خذلانهم بنفسه في الدنيا ، وإما يتوفاه الله فيرى ذلك في الآخرة
٤٧- ٤٨	الماضي	الرجوع إلى الماضي لكل من كذب بالرسل وهم يدعونهم إلى ما فيه النجاة ويرفضون ويكذبون . فحق عليهم ما سيرون من العذاب لأنهم بذلك غير مظلومين
٤٩	الحاضر	يعود المشهد إلى مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه بوصفه رسول زمانهم هذا قد أنذرهم ولا يملك لنفسه – ومن ثم لهم- النفع أو الضر ؛ لأن كل شيء بأمر الله ومشيئته

٥- قوله تعالى : " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ

(١) سورة يونس : الآيات٤٥ : ٤٩ .

عَرْضًا_(١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا_(١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) " [1].

الآية	الزمن	الحالة
٩٩- ١٠٠	الحاضر	مشهد القيامة حيث الجمع والحشر والعرض على جهنم لنيل الجزاء
١٠١-١٠٢	الماضي	الرجوع إلى الوراء في الدنيا لمعرفة مسوغات دخولهم النار فكانت أنهم كانوا يتكبرون ويتأبون على الإيمان والاستجابة للدعوة ويصمون الآذان عن ذكر الله ، واتخاذهم من دون الله أولياء ، فلهم بذلك جهنم أعدت لهم

٦- قوله تعالى : **" وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) "** [2] .

الآية	الزمن	الحالة
٢٥ : ٢٨	الحاضر	المشهد الحاضر هو يوم القيامة ، حيث الملك لله ، إنه يوم

(١) سورة الكهف : الآيات٩٩ :١٠٢ .

(٢) سورة الفرقان : الآيات ٢٥ :٣٠ .

		عسير على الكافرين الضالين ، وهم في هذا اليوم يندمون على ما اقترفوه من انحراف عن سبيل الهداية ، وانهم اتبعوا من أضلوهم .
٢٩- ٣٠	الماضي	ثم يتذكرون ما كان يجري في الدنيا من أضلالهم عن الذكر وعن القرآن والهداية ممن اتبعوهم ، حتى اشتكاهم الرسول صلى الله عليه وسلم في أنهم هجروا القرآن ولم يعملوا به

٧- قوله تعالى : " **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا _(٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا _(٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا _(٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا _(٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** (٦٧) " [١] .

الآية	الزمن	الحالة
٦٣ – ٦٤	الحاضر	في سياق سؤال الناس عن موعد القيامة يأتي التنبيه من الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الكافرين ينتظرهم الجحيم ، والتخليد فيه
٦٥ – ٦٦	المستقبل	ثم يستدعى يوم القيامة لنرى تقلبهم في النار ، ونشهد ندمهم
٦٧	الماضي	على ما قدموه في دنياهم من عصيان لله ورسوله في مقابل طاعة الكبراء وسادة القوم الذين أضلوهم

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٦٣: ٦٧ .

هذه بعض النماذج التي تمثل استخدام الارتداد الزمني – وهو من أهم مظاهر تيار الوعي– وتكشف عن سياقاته ، حيث يكون الانتقال بالزمن فيه تصعيد للتهديد والوعيد باستحضار مشاهد يوم القيامة ؛ وتجسيد العذاب والكشف عن الجزاء الذي ينتظر هؤلاء الضالين ، ورؤية مصائرهم رأى العين . وتصور لهم كيف أن أيامهم الحالية الحاضرة ستصبح ماضياً لا يمكن الرجوع إليه . وتستدعي القيامة من المستقبل لتجعلها حاضرة – في بعض السياقات– للتأكيد على ذلك .

و" زمن تيار الوعي هو زمن نفسي مستدير متقطع يتعامل مع الحاضر والماضي والمستقبل في آن واحد " [١] والزمن هنا غير مستدعى في ذهن الشخصيات بشكل مباشر ، بل هو تداعي أو استدعاء ينقلهم به القرآن ويصوره لهم بنقله في أذهانهم فتتداعى الصور الزمنية على هذا النحو . فهى عملية استدعاء يمر بها عقل المستمع لهذه المراحل الزمنية المختلفة في نفس اللحظة .

ثالثاً : تقنيات تيار الوعي:

إن الهدف من " تيار الوعي " في الرواية هو تقديم عالم الشخصية من الداخل في صورة أقرب ما تكون حديثاً مع النفس وإلى النفس ، وكأنه لا توجد مساحة أدبية في القصة تستوعب هذه المشاعر وما يدور في الخاطر فتبقى حبيسة الشخصية . لذلك اعتبرها البعض نوعاً من البوح والاعتراف في صورة تتحرر فيها من الحبكة والعقدة والشكل المألوف للرواية التقليدية ،

---

(١) عدنان محمد على المحادين ، تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف ، دكتوراة، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٦م ، ص ٦٥ .

كما تقول " فرجينيا وولف : " فلن يكون هنالك حبكة ولا ملهاة ولا مأساة ولا قصة حب ولا كارثة بالأسلوب المعروف "[١]. وهذا الكشف يكون هو الأساس في هذا النوع من القصص . ويرى " همفري " أن " هذا نوع من القصص يركز فيه أساساً على نوع من مستويات ما قبل الكلام من الوعي بهدف الكشف عن الكيان النفسي للشخصيات "[٢]. أو كما وصفته " فيرجينيا وولف " – رائدة من رواد تيار الوعي – بأنه يمثل الصمت وليس الكلام .[٣] وهذا الكشف عن عالم الشخصية الداخلي ، والكشف عن محتواها النفسي الذي يكون من خلال تقديم صورة العالم الباطني من محتوى الوعاء الذهني لها، موجود بشكل واسع في القرآن الكريم ، في مواضع تتحدث عن شخصيات فردية أو فئات جمعية ؛ لأن هذه الشخصيات تمثل أنماطاً إنسانية مختلفة ، في طيب الجوهر أو خبثه ، في موقفها من الرسل وعقيدة التوحيد والشرائع والسلوك القويم وغيره من الأمور الجسام التي حرص القرآن الكريم على الكشف عنها ، وبخاصة في المواقف الحاسمة أو المهمة . وليس شرطاً هنا ارتباطها بسياق قصصي كامل ، حيث تكون الشخصية هى المادة الأساسية التي يعمل فيها هذا التكنيك . وهذا تحديداً هو مكمن صعوبة التعامل مع محاولات الخلوص إلى وسائل تيار الوعي المستخدمة في القرآن ؛ للفروق الجوهرية بينه وبين العمل الروائي المصنف

(١)جيمس وكونراد وفرجينيا وولف وآخرون ، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة أنجيل بطرس سمعان ، مراجعة رشاد رشدي ، ١٩٧١م ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ص ١٥٦ .

(٢) تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ص ٢٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق نفسه ، ص ١١ .

في إطار رواية تيار الوعي ، فهذه الروايات يكون تيار الوعي فيها ، أو تقديم العالم الداخلي للشخصية هو المهيمن عليها ، ويكاد العالم الخارجي يختفي أو يظهر بشكل غير واسع ، في حين أنه في القرآن الكريم نجد العكس ، فهو نص يعنى في المقام الأول بقصة الوجود والكون والإنسان وعلاقة كل هذا بالخالق ، ويعني بتوضيح التشريعات والعقائد والمعاملات . وكل هذا يتناول العالم الخارجي لأنه واقعي وحقيقي ، لكن هناك بعض السياقات التي تستدعي تناول بعض الشخصيات أو الفئات من الداخل لكشفها للناس ، وهى تحمل في طياتها أسباب التصديق والإيمان أو التكذيب والكفر ، وكذلك تصوير النفس الإنسانية من الداخل ومدى استجابتها للدين الذي جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يترتب عليه شعورهم في الآخرة عند تلقي الجزاء . والغاية هنا الوقوف على طبيعة النفس الإنسانية – متمثلة هنا في الفئة الضالة – وتصوير أعماقها من الداخل .

يوجد العديد من التقنيات المستخدمة في " تيار الوعي " يُعرف بها ؛ وقد عرضها " روبرت همفري" تفصيلاً وتطبيقاً . كما تناولتها العديد من الدراسات التي عنيت بالتطبيقات على تكنيك " تيار الوعي " . ويمكننا هنا عرض الوسائل التي يقع في تصوري تطويع الأسلوب القرآني لها في مقام الكشف عن المحتوى العقلي والذهني للفئات الضالة وذلك على النحو الآتي:

١–مناجاة النفس : هى وسيلة " تقديم المحتوى الذهني ، والعمليات الذهنية مباشرة من الشخصية إلى القارئ ، بدون حضور المؤلف ، لكن

مـع افتـراض وجـود الجمهـور افتراضـاً صـامتاً "[١]. ومناجـاة الـنفس مـن الأساليب الروائية التقليدية ، بيد أنه أدخله الأدباء المعنيون بتكنيك تيار الوعي ضمن وسائل هذا التكنيك ؛ لأنه يقدم المحتوى الداخلي الخاص بالشخصية بشكل مباشر للمتلقي . ولأنه أكثر الأساليب تحديداً لعمق وعي الشخصية . ونجد بهذا التصور ما يمثله في النص القرآني الكريم. كقوله تعالى : " **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** . "[٢] . إن حديث قابيل لنفسه لم يقدم الملمح العاطفي تجاه أخيه بعد أن أقدم على قتله متعامياً عن النتائج ، لكنه أبرز حركة الذهن تجاه تقييم النفس إزاء هذا العجز الذي أثبته له الغراب . فقد أحس بقوته وقدرته – قبل القتل – في حين أن هذا الغراب قدم له دليلاً على ضعفه وقلة حيلته – بعد أن أتم عملية القتل – لذلك كان الندم هنا ليس على قتله أخيه ، لكن على أن عملية القتل خلفت له من النتائج ما لم يحسب له حساباً ، فكان تجسيداً لخيبته وهزيمته لا انتصاره وقوته . ومقطع المناجاة هنا في قوله وفق وروده في الآية الكريمة : **يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي** " ، يؤكد على أمرين ؛ أولهما أن هذه المناجاة غير متكلم بها أو منطوقة . فهى حديث داخل النفس وموجه إلى النفس . ثانيهما أنها لا تقصد توصيل الكلام لأحد ، على الرغم من أن صياغة الكلام

(١) انظر : تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ص٧٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية٣١ .

تظهر أن هناك متلقياً أو جمهوراً مستمعاً . إلا أنه جمهور لا وجود له. والدليل المادي على هذا عدم وجود أى إنسان مع قابيل في المشهد ، فضلاً عن أنه هو وهابيل أول ولد سيدنا آدم على الأرض .

وفي قوله تعالى : " **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)** "[1]. يبدو في هذه الآيات تصوير الأفكار وفق ما تمر بالذهن وقتها ، ويظهر أسلوب المناجاة الحالة التي عليها هؤلاء الضالين حين يتسلمون صحيفة أعمالهم ، من تأنيب للنفس وشعور بالندم والحسرة . وهو حديث مع النفس دون القصد إلى توجيه الكلام لأحد ، على الرغم من أن صيغة الكلام تبدو كما لو كانت موجهة إلى مستمع .

وكذلك في قوله تعالى : " **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** [2] .

وقوله تعالى : " **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩)** " [3] .

(١) سورة الحاقة : الآيات ٢٥ :٢٩ .

(٢) سورة الأنعام : الآية٢٧ .

(٣) سورة الفرقان : الآيات ٢٧ : ٢٩ .

وقوله تعالى : " **وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)**" [١].

وقوله تعالى : " **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ_(٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ(٥٢)** " [٢] .

وقوله تعالى :" **وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** " [٣] .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ".[٤]

وقوله تعالى : " **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**" . [٥]

يجمع أغلب هذه الأمثلة من مناجاة النفس السياق الواحد الذي وردت فيه ، وهو سياق المثول إلى المحاكمة الآلهية ، والوصول إلى نهاية الطريق الذي ليس بعده طريق أو رجوع ، وقت الحساب وتلقي الجزاء عما قدمت أيديهم في الدنيا ، حيث لم يدعهم تكذيبهم بالدين والبعث إلى عمل ما يمكن أن

---

(١) سورة الفجر : الآيات ٢٣ ،٢٤.

(٢) سورة يس : الآيات ٥١، ٥٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية١٤٩.

(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٣ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٦٧ .

يشفع لهم أو ينجيهم في هذا الوقت . وقد كان أسلوب مناجاة النفس هنا ملائماً في تصوير الحالات النفسية والتفريغ الذهني وبيان طبيعة الوضع الفظيع الذي هم عليه ، وهذا بغرض تقديمه للمتلقي والكشف له عن مصير كل الفئات الضالة في الدنيا . وقد كان في استخدام هذه الوسيلة إبراز لأمر مهم في هذا السياق ، هو أن الإنسان الذي ضل في الدنيا لن ينفعه أحد ، بل لن يجد أحداً يتصبر به أو يشفع له أو ينجيه من مصيره . و لم يجد إلا نفسه . وهذه رسالة بأن الإنسان في الدنيا لن ينفعه إلا عمله ، وأنه لن ينفعه هؤلاء الذين قدمهم على عبادة الله الواحد الأحد وطاعته . كما تحدثنا به الآية الكريمة " **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** " . (١)

هذه الأمثلة – ونظائرها في القرآن الكريم – تبرز وجود أسلوب مناجاة النفس في القرآن ، وتجلي توظيفه و مفهومه وماهيته و سياقاته وأهدافه ، وهو أحد قسمي المناجاة ؛ أما القسم الثاني فهو مناجاة الغير ، الذي يتجه الخطاب فيه نحو الآخر وليس نحو الذات . " وكلاهما يفترض وجود سامع صامت، وعدم تدخل المؤلف بين ذهن الشخصية والسامع ، وكلاهما يروى بضمير المتكلم (الشخصية) ". (٢) ومناجاة الغير في القرآن الكريم لم توجه إلا للذات الإلهية ، ولم تأت إلا بصيغة الدعاء ، ولم ترد إلا في سياق واحد هو يوم القيامة يوم الحساب ؛ وذلك – في تصوري– للأسباب الآتية :

(١) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٢) تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف ، ص ١٣٢ .

أولاً – إن القرآن الكريم ليس مجالاً للمناجاة بين الناس بعضهم بعضاً ، فهذا ليس من موضوعاته ولا من أهداف الرسالة المنزل بها . ولم ترد المناجاة إلا بالإخبار عن وقوعها فيما بينهم ، دون ذكر نص المناجاة ، مثل قوله تعالى: " **نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** "[١] . وقوله تعالى : " **فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى** " (٦٢) .[٢]وقوله تعالى : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** " [٣] . فإذا كانت ثمة مناجاة فلا تكون إلا لله عز وجل ؛ لأن وراءها – حينذاك – هدفاً يدخل ضمن الرسائل القرآنية .

ثانياً – إن ما نطلق عليه مناجاة هنا هو مضمون أعلى من مجرد الدعاء ؛ لأن الدعاء عبادة وقد فات أوانها . والضالون يوم القيامة في حاجة إلى درجة أعلى من درجة الدعاء ، فهم في حالة خالصة من الصفاء والإخلاص في مناجاة الله والحديث إليه تعالى وقد انكشف لهم ما تعاموا عنه في الدنيا " **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** (٢١) **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** (٢٢) "[٤]. والسياق يستدعي منهم التقرب الشديد إلى الله ، وبذل الجهد والهمة ظناً بأن الله قد يتقبل منهم .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٤٧ .

(٢) سورة طه : الآية ٦٢ .

(٣) سورة المجادلة : الآية ٧ .

(٤) سورة ق : الآيات ٢١ ، ٢٢ .

ثالثا – إن الكافرين لا يدعون ربهم ويتضرعون إليه إلا في الآخرة ، تماماً كما أن المؤمنين لا يدعون ربهم إلا في الدنيا ، يجمعهما في هذا منطق واحد وسبب واحد ؛ لذلك لا نجد أثراً لمناجاة الضالين لله رب العالمين إلا في سياق الحساب والجزاء وهو يوم القيامة .

ومناجاة الغير حين تدخل في نطاق تيار الوعي ، فإنها تؤدي الوظيفة التي تقوم بها مناجاة النفس ، فكلاهما حديث مصدره النفس أو الشخصية ، وتفريغ للشحنات العاطفية والنفسية والشعورية المسيطرة عليها وقت المناجاة، وكشف عن بواطن الشخصية وما تنطوي عليه . وهذا ركيزة أساسية في أسلوب تيار الوعي .

ومن أمثلة مناجاة الغير في القرآن الكريم :

١- قوله تعالى : " **وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ** " (١).

٢- قوله تعالى : " **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**" (٢) .

٣- قوله تعالى: " **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا** (٦٦) **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا**

(١) سورة ق : الآيات ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٢٩ .

فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) **رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا** (٦٨) (١).

٤- قوله تعالى : " **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ** (١٠٥) **قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ** (١٠٦) (٢).

يقع في تصوري أن المقام وقتذاك لن يكون فيه مساحة للحوار أو التعبير أو الكلام على هذا النحو ، الذي يوحي بأنه سيكون كلاماً منطوقاً ومن ثم مسموعاً . إن الأمر لا يخرج عن كونه مشاهد تنقل الحالة الشعورية والنفسية والذهنية التي تسيطر على أهل النار وقت مواجهة مصائرهم . مشاهد يجسدها القرآن الكريم للناس كافة في الدنيا ؛ أما المؤمنون منهم فيزيدهم ثباتاً على الإيمان وطريق الحق ، وأما الضالون فيستشرفون هذه المشاهد ويطلعون عليها ليعرفوا – وهم في الدنيا – نتيجة جحودهم وتكذيبهم وضلالهم . وهى في نفسها حجة عليهم يوم القيامة . وهذه المناجاة أو الدعاء لله ليس تضرعاً منهم ، ولا سؤالاً لقضاء طلباتهم ورغباتهم ، فهم يدركون أنه لا جدوى من ذلك ، لكنها حالة الندم والحسرة المهيمنة عليهم وقتها – وهذا هو الغرض من المناجاة هنا – إن أمانيهم – في المثال الأول – متعلقة بمنحهم فرصة أخرى للعودة ولو قليلاً ليتداركوا ما فاتهم من تلبية دعوة الرسل واتباعهم وتصديقهم . والمناجاة هنا تعكس حالة الندم و تأنيب النفس . وفي المثال الثاني إدراك منهم باستحالة الرجوع ، وعدم الجدوى من طلبه ، لأنهم اتجهوا إلى التفكير في الانتقام ممن ألقى بهم في هذا الجحيم ممن وسوس لهم بالضلال من الجن والإنس (للشمول) ، بأن

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٦٦ : ٦٨ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات ١٠٥ ،١٠٦.

يلقوا بهم في منطقة من جهنم أعمق مما يواجهونه هم أنفسهم . فالأسفل هو الأكثر استعاراً بالجحيم . وهذه المناجاة ليست إلا كشفاً عن حالة الغل والغيظ والغليان من أنفسهم – قبل غيرهم ممن أضلوهم – لكونهم قد استمعوا لهم في الدنيا واستجابوا لوسوستهم . ويجمع المثال الثالث طلباتهم الموجودة في المثالين الأول والثاني ؛ وهى الرجوع إلى الدنيا لكى يطيعوا الله ويتبعوا الرسل ، لكن جاءت بإظهار الندم على أنهم لم يفعلوا هذا حين كانوا في الدنيا . والثاني هو الرغبة في الانتقام من السادة والكبراء الذين اتبعوهم في الدنيا وخدعوهم بمتعها ولهوها ، فيطلبون لهم مضاعفة العذاب ، أى ضعف عذابهم . أما المثال الرابع فلا يمكن أخذه على سبيل الحوار ؛ لأنه لم يكن ولا يمكن أن يكون ، فهو نوع من الكشف عن المحتوى الداخلي لهؤلاء الضالين في هذا المقام الرهيب ، وهى ليست بصيغة الدعاء إلا أنها جاءت على سبيل الاستعطاف والاسترحام وإظهار الندم .

٢–المنولوج الداخلي : هو طريقة لتصوير الأفكار والمشاعر المتدفقة التي تمر في العقل . و هو حديث داخل الشخصية غير منطوق به ، ولا يحتمل رداً عليه . وهو تكنيك لتقديم المحتوى النفسي والعمليات النفسية في المستويات المختلفة للانضباط الواعي ، ويهتم بكل محتويات الوعي وعملياته . ويلاحظ أنه غير متكلم به جزئياً أو كلياً ، وذلك لأنه يقدم محتوى الوعي في مرحلته المكتملة ، قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام عن قصد . [١]ولا يفترض وجود سامع . وقد فرق أهل العلم – بهذا التكنيك – بين نوعين من المنولوج الداخلي هما: المنولوج الداخلي المباشر و من

(١) تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ص ٥٩ .

سماته أنه يرد بضمير المتكلم ، وزمن الجملة يتردد فيه بين الماضي والحاضر ، وهناك غياب للمؤلف عن هذا المنولوج فلا يتدخل في حديث الشخصية ، وربما جاء هذا التدخل بقدر ضئيل ومحدود ، بالشرح والإرشاد، مثل " قال كذا " ، " وفكر على النحو الفلاني " . كما أنه موجود بتعليقاته الإيضاحية . وبقدر لا يقف حائلاً دون الإحساس بمجيء الكلام من الشخصية مباشرة .[١] **والمنولوج الداخلي غير المباشر:** ويجمعه بالمنولوج المباشر الكثير من الوجوه ، بيد أنه تفرق بينهما علامات محددة هى ؛ أنه يأتي بضمير الغائب أو المخاطب لا ضمير المتكلم . وأنه " يعطي القارئ إحساساً بحضور المؤلف المستمر في حين يستغنى المنولوج المباشر عن هذا الحضور كلية أو على نحو واضح " [٢]. وهو " ذلك النمط من المنولوج الداخلي الذي يقدم فيه المؤلف الواسع المعرفة مادة غير متكلم بها ويقدمها كما لو أنها كانت تأتي من وعي شخصية ما ، هذا مع القيام بإرشاد القارئ ليجد طريقه خلال تلك المادة ، وذلك عن طريق التعليق والوصف . وهو يختلف عن المنولوج الداخلي المباشر أساساً في أن المؤلف يتدخل فيه بين ذهن الشخصية وبين القارئ ، والمؤلف دليل حاضر في المكان يقوم بإرشاد القارئ . وهذا المنولوج يكتسب الصفة الأساسية للمنولوج الداخلي من أن ما يقدمه ينبع من الوعي مباشرة ، أى أنه يقدمه في ثوب من لغة الشخصية ، ومن خصائص العمليات الذهنية لديها"[٣]. أما المنولوج الداخلي المباشر فليس له وجود بارز ومحدد وحده في القرآن ، لكن يمكن التماسه ممزوجاً

(١) انظر : المرجع السابق نفسه ، ص ٦٣:٥٩ .

(٢)المرجع السابق نفسه ، ص ٦٦ .

(٣)المرجع السابق نفسه، ص ٦٦ .

بوسائل أخرى من تيار الوعي– كما سيأتي– ومن الواضح أنه لا يوجد في أسلوب القرآن الكريم مجال لحديث الشخصيات – أو الفئات – حديثاً مباشراً تكشف فيه عن نفسها وبواطنها ومحتواها الذهني ، فقد جاء هذا الكشف بطريق غير مباشر حين ورد الإخبار عنهم من الله عز وجل وهو العليم الخبير بخلقه . لأن هذا الكشف غير المباشر في الروايات يقدم فيه المؤلف الواسع المعرفة مادة غير متكلم بها ويقدمها كما لو كانت تأتي من وعي شخصية ما . وهل يوجد من هو أكثر علماً من الله بدخائل خلقه ؟ وهل يوجد من هو أكثر إحاطة بما يدور في صدورهم ؟ " **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** (١٣) **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤) " [١] .

ومن أمثلة المنولوج الداخلي غير المباشر قوله تعالى : " **وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ** " [٢] . تتناول الآية الكريمة – بصيغة الغائب – شخصية فرعون ومن اتبعه ، فتقدم الوعاء الذهني لها ، وكيف أنها اتخذت من الشعور بالعظمة والاستعلاء على سائر الناس أساساً في التعامل معهم للهيمنة عليهم ، فيرى نفسه أعلى منهم فيستحق الطاعة والاتباع ، ويرى الناس أقل منه فعليهم الطاعة والانقياد . " **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** "[٣] . ولم يسيطر عليه هذا الشعور إلا لظنه أنه مخلد في الأرض ، لن يدركه موت ، ولن يبعث

(١)سورة الملك : الآيات ١٣ ،١٤.

(٢) سورة القصص : الآية٣٩ .

(٣) سورة الزخرف : الآية٥٤ .

لحساب . وهذا منولوج غير مباشر أو حديث عن الشخصية ليس بواسطة الشخصية ، لكن جاء من لدن عليم خبير الله .

وقولـه تعـالى : " **يَحْذَرُ الْمُنَـافِقُونَ أَنْ تُنَـزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَـا فِـي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ** " (١) .

تكشـف الآيـة الكريمـة عـن المحتـوى الـذهني للمنـافقين ، وبـواطن نفوسـهم ودخائلها ، فهم إذا فعلوا ما أوجبته عليهم عدوانيتهم ومعاداتهم الرسول ومن معه تتعلق أنفاسهم خوفاً من انكشاف أمرهم بنزول القرآن فيهم يخبر الرسول والمؤمنين بأمرهم . ففي كل مرة يقول لسان حالهم : عسى الله ألا يكشف سرنا . وهذا الكشف في نفسه كأنه قد مر بوعي فئة المنافقين أولاً قبل أن يأتي على هذه الصورة من التقديم .

وفي قوله تعالى : " **وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** " (٢).

عرضت الآية الكريمة الحالة الشعورية التي يكون عليها أهل الكفر والضلال يوم القيامة ، وقت تجرعهم العذاب ، وبينت ما الذي يطرأ في خاطرهم ويجول في عقولهم من هول العذاب . وقد صور هذا العرض ملمحين من هذا التفكر هما : أنهم تمنوا لو أنهم يملكون خزائن الأرض ، جميع ملك الأرض وضعفه معهم لافتدوا به أنفسهم من هذا العذاب . والثاني أنهم قد عرفوا وقتئذ خطأ حساباتهم في الدنيا " فقد عملوا أعمالاً توهموا أنها

(١) سورة التوبة : الآية٦٤ .

(٢) سورة الزمر : الآية٤٧ .

حسنات ، فإذا هى سيئات وتوهموا أنهم يتوبون منها قبل الموت فأدركهم الموت قبل أن يتوبوا ، ويجوز أن يكونوا توهموا أنه يغفر لهم من غير توبة"[١] .

وقوله تعالى : " **وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** "[٢] . تكشف الآية الكريمة عن النهج الذي يتبعه الضالون ، وهى صورة لعقلهم وتفكيرهم وقناعتهم . فآيات الله في الأرض كثيرة ومحيطة ومع ذلك لا يصدقون أو يؤمنون بها ، بل دائماً لديهم تفسيرات أخرى غير كونها علامات إلهية . ثم هم يرون سبيل الرشد وطريق النجاة لكنهم لا يسلكونه ، في حين أنه عند ظهور طريق الضلال والهلاك يتخذوه سبيلاً ، وهذا لأنهم مكذبون الدعوة رافضون الإيمان بالله ، وكانوا غافلين والغفلة " لا توجب الجزاء عليها ؛ لأن الغافل ساهٍ وناسي ، ولكن هؤلاء صدفوا عن الأمر صدوفاً عقلياً مقصوداً لدرجة أنهم لا يعيرون الإيمان أى التفات " .[٣] وهذا العزوف والصد المتعمد يكشف عن منطقهم ومنهجهم وطريقة تفكيرهم .

وفي قوله تعالى : " **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** (٥٦) **أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ**

---

(١) تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ١٨ ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، ٢٩١ .

(٢) سورة الأعراف :الآية١٤٦.

(٣) تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي ، موقع المكتبة الوقفية نسخة pdf https://waqfeya.net/book.php?bid=8116، ص٤٣٥٦.

الْمُتَّقِينَ(٥٧) **أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** (٥٨) **بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**" (١) . تنقل الآية الكريمة صورة الوعاء الذهني لأهل الضلال ممن لم يتبع القرآن الكريم وتعاليمه وهديه في الدنيا ، ثم باغتهم يوم القيامة والحساب ، فكيف يكون حالهم ؟ ستحدثهم أنفسهم أحاديث الندم على ما فرطوا فيه في الدنيا ، وما انصرفوا عنه . و جاء عرض الصورة بضمير الغائب أولاً وهى : **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ – أَوْ تَقُولَ – أَوْ تَقُولَ** . ثم جاء الكلام بصيغة المتكلم على لسان أهل الضلال إلا أن هذا الضمير ليس القصد منه القول بجريان الكلام على لسانهم بقدر ما هو داخل في صيغة الغائب ؛ لأن الله عز وجل يحكي عنهم ، ويعرض ما يدور في فكرهم وخاطرهم وقتذاك . ليتفادى غيرهم هذا المصير وهى مناسبة الكلام أصلاً . كما في قوله تعالى : " **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** (٢) . فجاء الكلام على نحو : يا أيها الذين آمنوا اتبعوا القرآن قبل أن تباغتكم القيامة والعذاب ، وهناك في النار من يتمنى الرجوع إلى الدنيا ليتدارك ما فاته وهو نفسه ما ندعوكم إليه الآن . فاحذروا هذا المصير .

وفي قوله تعالى : " يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) **وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ** (١٢) **وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ** (١٣) **وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ** (١٤) " (٣) . هنا نقل للمستوى الشعوري الذي يكون عليه الكافر – الموسوم بالمجرم – من هول العذاب والألم والمعاناة التي لا

(١) سورة الزمر، الآيات ٥٦ : ٥٨ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥٥ .

(٣) سورة المعارج : الآيات ١١ : ١٤ .

يمكن تحملها ، ما حمله على تمني أن يفدي نفسه بمن كان عنده في الدنيا أحب الناس إلى قلبه ، فمن الذي يرد على فكره في هذا الوقت ؟ إنه ابنه فلذة كبده الذي كان لا يتوانى عن فدائه في الدنيا ، وتقديم كل سبل الحياة والراحة بعينه وروحه بمقابل مشقته ، وزوجته التي تصاحبه في الدنيا بوصفها خير متاع ، ثم الأخ العضد والسند ، ثم العشيرة التي تحميه وتنصره . كل هؤلاء دعاه تفكيره إلى تقديمهم فداءً ، ويتمنى لو أمكنه أن يقدمهم بدلاً عنه .

هذه بعض النماذج التي يقع في تصوري أنها مثال على وسيلة المنولوج غير المباشر ؛ ذلك لأن هذه النماذج قصدت إلى تقديم فكر أهل الضلالة ومنطقهم القابع في حركة الذهن والعقل ، وهو مضمون مفهوم المنولوج غير المباشر الذي يعكس خصائص العملية الذهنية للشخصية المتحدث عنها . و يعبر عن مشاعر الشخصية وتأملاتها .

٣-الوصف

الوصف عنصر أساسي في العمل القصصي وهو وسيلة قديمة (تقليدية)، بيد أنها استخدمت فيما يعرف بروايات تيار الوعي ، ومن ثم حين انتقلت إلى هذا التكنيك الحديث انتقلت بإضافة تلائم طبيعته المعنية بنقل الحياة الذهنية للشخصيات . وهو بذلك يتخطى الاهتمام بالشكل الخارجي إلى وصف العالم الداخلي . ويعرف (الوصف) بناءً على ذلك بأنه " التكنيك الذي يستخدمه الروائي لتقديم المحتوى الذهني والعمليات الذهنية للشخصية عن طريق وصف المؤلف (الواسع) المعرفة لهذا العالم الذهني من خلال

الطرق التقليدية للقصص والوصف "[١]. وقد ورد فيما بعد تدقيق لمسألة الوصف عن طريق المعلومات المستفيضة من المؤلف ، إلى المؤلف الذي يلاحظ ، ويدرك أبعاداً أعمق داخل الشخصيات .

وفيما يأتي يمكن إيراد بعض نماذج و أمثلة من القرآن الكريم ، أتصور أنها تعبر عن وسيلة الوصف بمفهومه الحديث :

١-قوله تعالى : " **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ** (٢٠٤) **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** (٢٠٥) **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** (٢٠٦) "[٢]. هذه الآيات نزلت في الأخنس ابن شريق الثقفي ، كان عمدة في النفاق , و كان ساعة يقابل الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر إسلامه ويلين القول له ويدعي أنه يحبه ، وفي مرة خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بزرع وحُمُر لقوم من المسلمين فأحرق الزرع وقتل الحمر[٣] . وهذه الآيات تصف هذا المنافق وغيره من المنافقين على مر الأزمان ، فقد يكون في هيئته الخارجية- قولاً وعملاً وليس شكلاً- أمامك حسناً مقبولاً تثق به ، وتظن به خيراً ، لكن في حقيقته غير ذلك ، فهو يأتي من الأعمال ما يدل على عدوانيته وبشاعته وحقده . وإذا قيل له اتق الله ولا تفعل هذه الأمور ، فأنت تستخفي من الناس ولا تستخفي من الله ، مضى غير مبالٍ . والآيات هنا

(١) تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ص ٧٢ .

(٢) سورة البقرة : الآيات ٢٠٤ : ٢٠٦ .

(٣) راجع في تفسير الآيات ، محمد متولي الشعراوي ، ص ٨٦٤: ٨٧٣ .

تقدم وصفاً لهذه الأعمال شكلاً ومضموناً بإظهار المنافق من الوجهين ، بطريقة ليس فيها معلومات مستفيضة عن هؤلاء المنافقين وما يفعلون سراً وعلانية فحسب ، لكن بطريقة تظهر قدرة الله تعالى على فهم دخائل الناس، وإدراك دقة تفاصيلهم ، ومن ثم كشف أمرهم . وهو القائل في كتابه الحكيم: **" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ "** (١).

٢- قوله تعالى :" **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** (٨) **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** (٩) **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** (١٠) "(٢). هذه الآيات الكريمات جاءت في وصف المنافقين ، ليس وصفاً شكلياً ، لكن وصفاً يقدم حقيقتهم التي تنطوي عليها صدورهم ، ولا يعلمها إلا الله فيكشف أمرهم . ومعلوم أن الكلام عن النفاق والمنافقين يقصد إلى أحاديث تتعلق كلها بالوعاء النفسي والذهني لهم ، وصورة حركة فكرهم الحائرة بين السرية والعلانية ، بين الحقيقة والادعاء وتبعات كل منهما وأثرها على حالتهم النفسية ، وسلامهم الداخلي ، وأثر ذلك المنعكس على علاقتهم بمن حولهم ومشاعر الآخر الرافضة لهم . والآيات هنا قدمت وصفاً لهؤلاء المنافقين ، وكشفت عن هذا الاضطراب الوجداني والنفسي الذي يهيمن على حياتهم ، فيفسدها , وجاء هذا الوصف من خلال التأكيد على ثلاث ركائز لحركة فكرهم وذهنهم أولها – وفق ماورد في الآيات –أنهم يعلنون الإيمان ويبطنون الكفر ، وهذا يفرض عليهم فرائض ومعاملات

(١) سورة ق : الآية١٦ .

(٢) سورة البقرة : الآيات ٨ :١٠ .

إسلامية بشكل علني يتقبلونها قسراً . وهذا يجعلهم في حالة دائمة من عدم التوازن الوجداني والنفسي في أداء تكاليف لا تعود عليهم بأية نتائج أو مكاسب حقيقية . و ثانيها أن أعمالهم مؤسسة على الخداع ؛ خداع الله – كما يظنون – وخداع المؤمنين ، والنتيجة أنهم ما يخدعون إلا أنفسهم ؛ لأن الله عز وجل لا يمكن لمخلوق أن يخدعه تعالى شأنه ، وأما المؤمنون فهم من الممكن أن يكشفوا أمرهم . وهذا الخداع في نفسه يجعلهم في حالة أخرى من القلق والترقب والتوتر القابعين في نفوسهم دائماً خوفاً من انكشاف أمرهم، فهم يستترون ويتهامسون ويختبئون وهذه السلوكيات من شأنها أن تخلق أجواءً غير صحية وعيشة غير سوية فتنعكس عليهم . وثالثاً أن هذه العيشة تعكس خللاً قلبياً ونفسياً ، فدائماً في قلوبهم مرض ، ويزيد هذا المرض مع الوقت بسبب نهجهم وطريقتهم وسلوكياتهم . وهذا الوصف الذي قدمته الآيات وصف داخلي دقيق للمنافقين وأحوالهم.

٣- قوله تعالى : " **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ** "(١). تصف الآية الكريمة هنا أيضاً المنافقين ، حيث يكون أكثر شيء يفضح أمرهم هو القتال ، فهم دائماً يرفضون القتال مع المسلمين ، ولا يستطيعون هذا أولاً نفسياً و ثانياً بما يعتقدون. فعندما يدعون إلى القتال لا يلبون النداء ، وهنا يكشف الله أمرهم حين دعوا إلى القتال فتحججوا بأن الفشل سوف يصيب المسلمين إذا خرجوا من المدينة لمواجهة الكفار ، أما إذا كان القتال داخل

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٧.

المدينة هزمهم المسلمون[١] . فوصفتهم الآية بأنهم في هذا الموقف يظهرون الكفر بعد أن كانوا يخفونه ، فقد تحدد أنهم أقرب إلى الكفر . ثم نعتتهم بديدنهم في إعلان إيمانهم ، وتقربهم إلى المسلمين بمعسول الكلام والمدح في حين أنهم يبطنون غير ذلك .

٤-قوله تعالى : " **إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ** " [٢] في هذه الآية الكريمة وصف للمنافقين ، وفضح لدخائلهم من خلال وصف حالهم وما يدور في أذهانهم تجاه المسلمين وقت الحرب ، فوصفت الآية حالهم من الحزن والألم إذا ما انتصر المسلمون في مواجهة ما مع الكفار ، لأنهم سيحصدون دونهم الغنائم . وحالهم من الفرح بهزيمتهم لتشفيهم في المسلمين أولاً ولأنهم سيثبتون رجاحة عقلهم للجميع لأنهم في قعودهم عن القتال كان عندهم بعد نظر ثانياً .

٥-قوله تعالى : " **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** (٣٣) **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** (٣٤) **أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ** (٣٥) **وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ** (٣٦) "[٣]. المقصود بالوصف هنا الكافرون ، فهؤلاء إذا مسهم الضر أو واجهتهم أية محنة ، تذكروا الله وأنابوا إليه ، معترفين بربوبيته وقدرته ، حتى إذا ما أدركتهم رحمة الله بالنجاة عادوا إلى

(١) سورة التوبة : الآية٥٠ .

(٢) راجع تفسير هذه الآيات محمد متولي الشعراوي ، ص ١٨٦٦ :١٨٦٨ .

(٣) سورة الروم : الآيات ٣٣: ٣٦ .

شركهم . وهذا ما وصف به–أيضاً– الناس في آخر الآيات ، وصف لعموم الناس ممن لا يرضى عنهم الله ، وليسوا من المؤمنين بالله حقاً ، لأن المؤمن بالله يحسن الظن به سبحانه ولا يقنط ، وقد ورد في الذكر الحكيم قوله تعالى : " **قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ** (٥٥) **قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** (٥٦) "[١]. وكذلك في قوله تعالى : " **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** " [٢] . فهم هنا أيضاً موصوفون بالكفر . فقد وصفت الآية حال الناس في السراء والضراء . صحيح أنهم في المحن لا يشركون ، لكنهم يقنطون ويأسون ، وفي هذا علامة من علامات الجحود والكفر بالله .

٦-قوله تعالى : " **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** (٦) **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** (٧) "[٣]. في الآية الكريمة وصف لأهل الضلال من الناس ، وأهل الضلال هنا تعني كل من يسهم في تضليل الناس عن ذكر الله وعن غاية الدين ، ويحاول إبعادهم عن الطريق القويم من الحق والصلاح والتقوى والعمل بتعاليم الدين إيماناً بالله وامتثالاً لطاعته . فهؤلاء مستعدون لبذل أى شيء في سبيل إيجاد أية وسيلة من وسائل الإلهاء واللهو ، ليصرفوا الناس عن الدين . ووصفتهم الآية كذلك بأنهم حين يتلى عليهم القرآن – لهدايتهم –

(١) سورة الحجر : الآيات ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) سورة يوسف : الآية٨٧ .

(٣) سورة لقمان : الآيات ٦ ،٧ .

يتأبون ويستكبرون ويفرون رافضين الإنصات له . وجاء الوصف بأن ما يُتلى عليهم لم يترك فيهم أثراً ، فسماعهم للقرآن يتساوي مع من لم يسمعه ، وجاء لتأكيد الوصف هنا تشبيههم بالصم.

٧-قوله تعالى : " **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** "(١). تصف الآية الكريمة بني إسرائيل وصفاً يكشف عن دخائلهم وطبيعتهم ، وليس وصفاً ظاهرياً شكلياً ؛ فقلوبهم لا تلين أبداً حتى بعد رؤيتهم لقدرة الله على البعث ، وأن الله حق ودعوته حق ، ومع ذلك فهم لا يستجيبون ، وقد شبهت الآية الكريمة قلوبهم بالحجارة ، فهى قاسية صخرية صلبة تستعصى على اللين . وأُكمل الوصف بأن قلوبهم ليست كالحجارة لكن أشد من الحجارة قسوة . وقد قدمت الآية الكريمة بصدد ذلك بعض شواهد من إمكانية لين الحجر في بعض الحالات ، وجاءت بأمثلة على ذلك من الطبيعة والواقع الذي يعرفونه ؛ منها ضرب سيدنا موسى الحجر بعصاه فانفجرت منه العيون . والماء هنا رمز الخير والنماء ، أى أن الحجر الذي يوصف بالقسوة ممكن أن يكون مصدراً للخير . أما هم فلا .

(١) سورة البقرة : الآية٧٤ .

المزج بين الوسائل :

يكثر في القرآن الكريم استخدام عنصر الوصف سواء الخارجي أو الداخلي، أما الوصف الداخلي فقد عنى بعرض المحتوى الداخلي للشخصيات أو الفئات . ولهذا دور مهم في إبراز مكنونات يحتاجها غيرهم ، إما لاتباع نهجها إذا كانت فئات مؤمنة ، أو لتحاشي مصائرهم إذا كانت فئات ضالة ، لدرجة أنه يأتي في بعض السياقات ممزوجاً بوسيلة أخرى من وسائل تيار الوعي ، أى أنه واسع الاستخدام في الكثير من السياقات . فنجد في قوله تعالى : " **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** "(١). أن الآية الكريمة قبل أن تكشف عن المحتوى الداخلي للمجرمين المذنبين الضالين - وقد تسلموا كتاب أعمالهم وحسابهم يوم القيامة - من خلال مناجاة النفس : " **يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**" ، عرضت وصفاً لحالهم في هذه اللحظات ، وهو الخوف الشديد والرعب من رؤيتهم أعمالهم جلية واضحة مسجلة عليهم ، وقد كانوا في الدنيا لا يلتفتون إلى أهميتها وخطورتها وحجمها الحقيقي . والوصف الداخلي هنا يقوم مقام الإنذار للناس أجمعين ، ليوقع في قلوبهم الرعب من هول ما رآه المجرمون ، فيحسبوا حساب هذا اليوم . ولقد تعاضدت وسيلتا مناجاة النفس والوصف هنا في إبراز هذا المصير الذي يشفق منه كل من يطلع عليه .

(١) سورة الكهف : الآية٤٩ .

ومثله قوله تعالى : " **واقتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ". (١) فيه عنصر الوصف قد سبق مناجاة النفس ، ليظهر الحالة التي عليها أهل النار من الكفار الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وقد دنا يوم القيامة وشعروا بأهوالها ، فشخصت أبصارهم في حالة من الفزع والذهول والإنتباه ، ليقع الندم في قلوبهم ، فتكشف الآية أثر ذلك من خلال مناجاة النفس ، وما يقع في نفوسهم وضمائرهم وقتها " **يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ".

وفي قوله تعالى : " **قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ** (٨) **أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ** (٩) **يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ** (١٠) **أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً** (١١) **قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ** (١٢)(٢). في هذه الآية الكريمة وصف ومنولوج داخلي مباشر ؛ أما الوصف فهو عنصر أساسي ومهم في مثل هذه السياقات التي تعرض المردود الشعوري والنفسي والذهني للفئات الضالة ، وبخاصة يوم الحساب . فالوصف هنا داخلي في إظهار وقع هذا اليوم في قلوبهم ، وخارجي في بيان خشوع أبصارهم ، والوصفان يتعاضدان في الكشف عن حالة الذهول والمفاجأة غير السارة ، حين عرف هؤلاء الضالون المكذبون بالبعث أن البعث حق ، فأشفقوا على أنفسهم من عودة الروح إلى أجسادهم بعد أن صارت عظاماً في المقابر ، ليتولى المنولوج المباشر ما يدور في أذهانهم من خلال هذا الكلام : " **أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ** (١٠) **أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا**

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٧.

(٢) سورة النازعات : الآيات ٨ : ١٢.

نَخِرَةً (١١) **قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ** " إنا بتلك العودة والبعث من الخاسرين لأننا سنتلقى جزاء ما كذبنا به .

وفي قوله تعالى : " **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** " [١] . نجد أن الوصف الذي عرضته الآية الكريمة لهذا المفتون بماله وجاهه وعزه وحديقته دون أن يقر بنعم الله عليه ، وظن أن القوة منه وليست بالله عز وجل ، صنع مشهداً يمكن أن تجسده ريشة فنان في لوحة تظهر هذا البائس وقد جلس مبهوتاً مذهولاً من هول المفاجأة والصدمة التي باغتته بفقد حصيلة زرعه وتعبه وما أنفقه على حديقته ، وهو يرى الثمر محصوراً تالفاً خرباً ، يضرب يداً بيد حيناً ويضرب رأسه بيده حيناً آخر ندماً أكملته المناجاة في قوله لنفسه : " **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** " .

وفي قوله تعالى : " **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ** (١٥) **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ** (١٦)[٢]" . كشفت الآية الكريمة من خلال المنولوج المباشر ما يمكن أن يقوله الإنسان إذا ما مر بحالتين ، ووضعت وصفاً وتحديداً لكل حالة منهما ؛ أما الحالة الأولى فالإنسان فيها يشعر بالنعمة والرزق ورغد العيش، فحينئذٍ يرى أن ربه قد أكرمه . وأما الحالة الثانية – وهى صورة مقابلة للحالة الأولى – الابتلاء حيث قلة الرزق وشظف العيش فوقتذٍ يرى الإنسان أن الله قد أهانه ونزع عنه التكريم . والآيات تبين أن ما يحدث للإنسان في

---

(١) سورة الكهف : الآية٤٢ .

(٢) سورة الفجر : الآيات ١٥،١٦.

حالتي المنح والمنع ليست أكثر من كونها ابتلاءات من الله له . فليس في منحه تكريم ، ولا في منعه إهانة . والآيات الكريمات تكشف من خلال هذا المنولوج المباشر المشفوع بعنصر الوصف عن تصور خاطيء للإنسان بطبيعة سريان أمور الدنيا .

أما في قوله تعالى : " **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** (١٨) **فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** (١٩) **ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** (٢٠) **ثُمَّ نَظَرَ** (٢١) **ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ** (٢٢) **ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ** (٢٣) **فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ** (٢٤) **إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ** (٢٥[١]) " . فنجد مزيجاً بين نوعي المنولوج الداخلي ؛ المباشر وغير المباشر ، في تقديم الوعاء الذهني للوليد بن المغيرة – وقد نزلت أغلب السورة فيه ، وهو المقصود بما ورد في هذه الآيات – وقد وقع في حيرة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم أمام كبراء قريش ، فقد أخذ يفكر في حجة يطعن بها في النبي لكي يبطل دعوته ، ويجد منفذاً للقدح في دينه ، حتى أعياه التفكير ؛ لأنه لا يجد في محمد أية صفة يمكن أن تكون وسيلته في محاربته ، ولما أعجزه التفكير عبس وجهه وغضب من الهم والعجز ، ثم أدار ظهره لكل ما يعرفه عن الرسول صلى الله عليه وسلم من جميل الصفات والخلق ، واستكبر أن يقر بذلك حتى وجد حجة واهية وهو يعرف أنها واهية حين ادعى أن محمداً ساحر . وقد جاء المنولوج غير المباشر بضمير الغائب في قوله تعالى : " **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** (١٨) **فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** (١٩) **ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** (٢٠) **ثُمَّ نَظَرَ** (٢١) **ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ** (٢٢) **ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ**" . ثم

(١) سورة المدثر : الآيات١٨ : ٢٥.

المنولوج المباشر في قوله تعالى : " **إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ** (٢٤) **إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**" . وهذا مضمون كلام الوليد بن المغيرة .

وبعد ، فإنه يمكننا التأكيد على بعض الملاحظات فيما يأتي :

١-إن استخدام الأسلوب القرآني لوسائل تيار الوعي قد أبرز خطاً داخل وعي الشخصيات والفئة الضالة موازياً للواقع ، يعكس نفسيتهم وأفكارهم ومحتواهم الذهني ، سواء في إشكالية القبول والتسليم والرفض والتمرد في الدنيا . أو في الاصطدام بتكشف الحقيقة أمامهم في الآخرة ، حيث وجدوا كل ما شككوا فيه حقاً ، لكن وقت وقوع الجزاء ، ومواجهة الحساب .

٢-إن الفروق بين أساليب تيار الوعي دقيقة جداً ، و تحتاج إلى نوع من التدقيق العميق ، وبخاصة إذا كنا نتعامل مع النص القرآني الكريم . وهو نص متفرد في قدسيته ، متفرد في طبيعته ، متفرد في أسلوبه ونظمه .

٣-ثمة علاقة وثيقة تربط أسلوب تيار الوعي بالأساليب الفنية المصاحبة له في السياقات ، وإذا كان هذا الأمر يحتاج إلى دراسة موسعة في الأعمال الروائية للكشف عن نوعية الأساليب المستخدمة في التعبير عن هذا العالم الداخلي للشخصيات ، وللكشف عن مهارة الكاتب في تطويع لغة التعبير بما يلائم هذا الأسلوب الحديث ، فإن القرآن الكريم هو النص الذي يحقق ثراءً في هذا الجانب . وكما يقول " همفري " : " إن قصص تيار الوعي – بالضرورة – قضية مهارة فنية . ويعتمد الإنتاج الناجح فيه على إمكانيات فنية تتجاوز إمكانيات أى نوع قصصي آخر . ولأن الأمر كذلك فإن أى دراسة لهذا النوع ينبغي أن تكون بالضرورة بحثاً في الأسلوب " .[١] وإذا كان

(١) تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ص ٥٤ .

المؤثران الفني والنفسي – دعامتا " تيار الوعي " – قد اجتمعا في بلورة الرواية العربية الحديثة ، فإنهما أقوى و أقرب ما يكونان في النص القرآني الكريم . وقد يكون هذا مجالاً رحباً لدراسات مقبلة .

مــراجـع البحـث

أولاً كتب مطبوعة :

١- آلان روب جرييه ، نحو رواية جديدة ، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى ، تقديم لويس عوض ، دار المعارف ، القاهرة .

٢- جيمس وكونراد وفرجينيا وولف وآخرون ، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث ، ترجمة أنجيل بطرس سمعان ، مراجعة رشاد رشدي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ،١٩٧١م .

٣- محمود الحسيني ، تيار الوعي في الرواية المصرية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة .

٤- محمود الربيعي ، قراءة الرواية ، دار المعارف .

٥- لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط.١ ، دار النهار للنشر ، لبنان ، ٢٠٠٢م .

٦- الشعراوي (محمد متولي) ، تفسير ، موقع المكتبة الوقفية نسخة pdf https://waqfeya.net/book.php?bid=8116

٧- محمود غنايم ، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

٨- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٨، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦م .

٩- نجيب محفوظ :

- رواية " الطريق " ، دار مصر للطباعة ، ١٩٤٦م.

- رواية " الشحاذ " ، دار مصر للطباعة ،١٩٦٥م .

١٠- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر .

١١- روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ترجمة محمود الربيعي ، دار غريب ، للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠م .

١٢-طه وادي ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، ط.٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

ثانياً : الدوريات :

١- ثناء محمود قاسم ، الشحاذ " النموذج الغربي " دراسة نقدية في ضوء علم النفس الحديث ، بحث منشور بمجلة كلية دار العلوم - جامعة الفيوم ، العدد العاشر ، ديسمبر، ٢٠٠٣م .

ثالثاً : المخطوطات :

١- منيرة سليمان إبراهيم العبيكي ، تيار الوعي في روايات رجاء العالم (١٩٨٧ - ٢٠٠٧م) ، ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية جامعة القصيم ، ٢٠١١م.

٢- عدنان محمد على المحادين، تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف، دكتوراة ، جامعة مؤتة، ٢٠٠٦م .

References

First: Printed Books:

1- Alain Robe Grillet, *Nahw Rewayah Gadidah*, Translation: Mustafa Ibrahim Mustafa, presentation: Lewis Awad, Dar Al-Maref, Cairo.

2- James, Conrad, Virginia Woolf et al, *Nazareyat Ar-Rewyah fi Al-Adab Al-Inglizei Al-Hadith*, Translation: Angel Botros Samaan, General Egyptian Authority for Authoriship and Publishing, Cairo, 1971 AD.

3- Mahmoud Al-Husseini, *Tayyar Al-Waey fi Ar-Rewayah Al-Mesreyyah*, General Authority for Cultural Palaces, Cairo.

4- Mahmoud Ar-Rabeiai, *Qiraat Ar-Rewayah*, Dar Al-Maref.

5- Latif Zaitouni, *Mujam Mustalahat Naqd Ar-Rewayah*, 1st edition, Dar An-Nahar for Publishing, Lebanon, 2002 AD.

6- Ash-Sharawi, *Tafsir*, PDF from https://waqfeya.net/book.php?bid=8116

7- Mahmoud Ghanayem, *Tayyar Al-Waey fi Ar-Rewayah Al-Arabiah Al-Hadithah*, General Authority for Cultural Palaces, Cairo, 1997 AD.

8- Al-Qurtubi, *Al-Gamea li Ahkam Al-Quran*, part 18, 1st edition, Ar-Risalah Corporation, 2006 AD.

9- Naguib Mahfouz, *At-Tareeq "Novel'*, Dar Misr for printing, 1946 AD.

10- Naguib Mahfouz, *Ash-Shahhaz "Novel'*, Dar Misr for printing, 1965 AD

11- Muhammad Ghoneimi Hilal, *An-Naqd Al-Adabi Al-Hadith*, Nahdet Misr.

12- Robert Humphrey, *Tayyar Al-Waey fi Ar-Rewayah Al-Hadithah*, Translation: Mahmoud Ar-Rabeiy, Dar Gharib, 2000 AD.

13- Taha Wadi, *Surat Al-Maraah of Ar-Rewayah Al-Moaserah*, Cairo, 1994 AD.

Second: Journals:

1- Thana Qassim, *Ash-Shahhaz "An-Namouzaj Al-Gharbi" Dirasah Naqdeyah fi Dawaa Elm An-Nafs Al-Hadith*, article published in Dar Al-Oloum Faculty Journal, Fayoum University, issue 10, December, 2003 AD.

Third: Theses

1- Mounirah Suliman Al-Ebeiki, *Tayyar Al-Waey fi Rewayat Ragaa Al-Alem* (1987-2007 AD), MA, College of Arabic Language and Social Studies, Qassim University, 2011 AD.

2- Adnan Muhammad Ali Al-Muhadeen, *Tayyar Al-Waey fi Rewayat Abd Ar-Rahman Munif*, Phd, Mutah University, 2006 AD.